صهيون » تحديا محتملا وتهديدا كامنا . . . . . .

تأسست الحلقات الاولى الصغيرة من « عمال صهيون » بين ابناء الطبقة العاملة اليهودية في بريطانيا ، في عام ١٩٠٢ ، احداها في ايست اند في لندن ، والاخرى في ليدز ، وكان عمر هذه التجمعات قصيرا ، لكن في غضون سنوات قلائل ، وبعد عدة انشقاقات وبدايات زائفة او مغلوطة ، تكونت منظمة قومية . وانعقد مؤتمر في ليفربول في ديسمبر — كانون الاول ١٩٠٦ ، أعلن عن هذه المنظمة باعتبارها الفرع البريطاني لعمال صهيون ، و « تبنى برنامجا اشتراكيا صهيونيا جذريا ، لا يشتمل على عدد من المبادىء النظرية فحسب ، بل وكذلك على خطة للنشاط العملي في جميع حقول العمل والنشاط في فلسطين »(٥). وهكذا فان التسلل الصهيوني الى الحركة العمالية بدأ في العام ذاته الذي شهد انتخابات عامة جذرية في بريطانيا أتت بحزب العمال البريطاني الى البرلمان لاول مرة.

حاييم وايزمان الذي استقر في مانشستر عام ١٩٠٤ ، صب كراهيته على اليهود الاثرياء « المندمجين » ، لكنه لم يبد أدنى اكتراث أو اهتمام بمطامح الشعب العامل . ولقد روى ريتشارد كروسمان كيف انه اثناء بحثه في مراسلات وايزمان في ارشيف رحوبوت في اسرائيل ، لم يجد فيها غير اشارة وحيدة الى الاحوال الاجتماعية في مانشستر ، التي عاش فيها وايزمان لعدة سنوات ، بل وكانت اشارة عابرة الى « ما يبدو على العمال من نظرة حزينة وهم في طريقهم الى المصنع »(٦).

وقبل ان يقيم وايزمان في بريطانيا ، تعاطى التدريس في سويسرا ، ويروي كروسمان عن جدال وقع هناك بين وايزمان وبين منظمة الطلبة الروس الماركسيين ، وان وايزمان ابلغ هؤلاء « بكل برودة، ان الثورة العالمية كلام فارغ وتهرب ، وان الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها اليهودي ان يحقق الحرية لنفسه ولشعبه هي بالعودة الى صهيون ، وتحويل فلسطين الى دولة قومية يهودية »(٧).

وبرغم عدم ايمان وايزمان بهذه الحقيقة ، وتقديره لهذه المسألة، فلقد كانت الحركة الصهيونية مجالا للصراع الطبقي، مثلما كانت الدول الصناعية الاوروبية تماما ، وكان طلائعيو عمال صهيون في بريطانيا ماركسيين متحمسين بالقدر نفسه الذي كان فيه وايزمان معاديا للماركسية . « لقد ناضلوا من اجل تحسين الوضع الاجتماعي للجماهير العاملة والتزموا بمفهوم الصراع الطبقي » . و« اتخذوا موقفا سلبيا من الوسائل التي يلجأ اليها الاتحاد الصهيوني في نشاطه » ، ومع ذلك أرادوا البقاء في صفوف هذا الاتحاد أطول مدة ممكنة « ليتمكنوا من التصويت الحر والنقد النزيه » . وكان بين أهداف عمال صهيون في بريطانيا « دمقرطة الحركة الصهيونية »(٨).

وعلى هذا يتبين لنا ان « عمال صهيون » في بريطانيا وجدوا انفسهم في سنواتهم الاولى، يقاتلون على جبهتين . وكانوا ساعين للتسلل والتسرب الى الحركة الصهيونية من ناحية ، وكذلك الى الحركة العمالية في بريطانيا من الناحية الثانية . وكان عليهم ان يجدوا صيغة ما لحل التناقض بين نظرتهم الى الشعب العامل من كل الاجناس والطوائف من جهة ، وبين توجههم نحو اليهود وحدهم من جهة اخرى . ومع مرور الوقت ، حلوا هذا التناقض بالتخلي عن نظرتهم المتعددة العروق والاجناس ، وبقصر توجههم على القومية اليهودية التي تدعو اليها المنظمة الصهيونية . وحيث ان « عمال صهيون » كانت في الاساس حركة سياسية لا حركة نقابية صناعية ، فان تأثيرها على النقابات العمالية كان ضئيلا ، لكنها تمتعت بتأثير اقوى بكثير على حزب العمال الذي كان هدفه الاوحد نجاح وتقدم الصهيونية .

المقاييس المزدوجة

شن « عمال صهيون » قبل اندماجهم بحزب العمال عام ١٩٢٠ ، حملة مستمرة للتأثير على هذا الحزب . « ولقد شنوا على نطاق واسع حملة توعية حول المطامح الصهيونية الاشتراكية في فلسطين وغيرها » وبلغت الحملة ذروتها في اعلان تصريح بلفور عام ١٩١٧ ، عندما « نظم عمال صهيون عددا كبيرا من الاجتماعات في جميع انحاء بريطانيا ، أعدت للقاء خطابات من قبل قادة الحركة العمالية البريطانية »(٩).

وبعد عيد الميلاد مباشرة في العام ١٩١٧ ، تبنى مؤتمر خاص لحزب العمال بيان الحزب الشهير بشأن اهداف الحرب . وأدرجت في ذلك البيان اشارة تنص على وجوب ان تصبح فلسطين « دولة